حمّالة الحطب

قصص النساء في القرآن

[15] حمّالة الحطب

وقد ورد ذكرها في قوله تعالى:{وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤} [المسد: ٤].

وهي أم جميل بنت حرب بن أمية، كانت تحمل الشوك، فتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجها أبو لهب: عبد العزى، كني بذلك لتلهّب وجنتيه وإشراقهما، أو في النار مناسبة لحاله فيها.

***

موجز القصة:

هذه المرأة لم يرد اسمها في القرآن الكريم صراحة، وإنما أشير إليها بصفتها " امرأة أبي لهب " عم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وذلك مرّة واحدة في معرض التنديد والذمّ لها ولزوجها، وذلك في قوله تعالى:{تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ} [المسد: ١ - ٥].

فمن هي امرأة أبي لهب هذه؟ ما اسمها؟ وما قصتها.

هي أروى بنت حرب أم جميل وإن شئت قلت: أم قبيح، وقيل " العوراء "... أخت أبي سفيان صخر بن حرب.

كانت عونا لزوجها على كفره وجحوده، آذت الرسول صلى الله عليه وسلم وأطلقت فيه لسانها بفحش القول وبذيء الكلام، كرهت نور الإسلام وأخذت في الصد عنه.. وولداه عتبة ومعتب.

ماذا كانت تفعل لإيذاء الرسول الكريم؟ وما أسباب نزول السورة التي ذكرت في المرة السابقة " المسد "؟ وما هي المُعجزة الظاهرة في سورة " المسد " على النبوة؟

قال تعالى:{حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، هي مهيأة لذلك مستعدة له،{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ}؛ قال مجاهد: من مسد النار، وعن مجاهد وعكرمة{حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ} كانت تمشي بالنميمة (واختاره ابن جرير).

وقال ابن عباس والضحّاك: كانت تضع الشوك في طريق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنّها في عداوة محمد، فأعقبها اللّه تعالى منها حبلاً في جيدها من مسد النار، والمسد الليف، وقيل: هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعاً، قال الجوهري: المسد الليف، والمسد أيضاً حبل من ليف أو خوص، وقال مجاهد:{حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ}؛ أي طوق من حديد.

أخرج ابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لمّا نزلت: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} أقبلت العوراء (أم جميل) بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمّماً أبيْنا - ودينه قليْنا - وأمره عصينا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول اللّه قد أقبلتْ وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم :"**إنها لن تراني** "، وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ

وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا} [الإسراء: ٤٥].

فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولّت وهي تقول: قد علمت قريشًا أني ابنة سيدها، قال: فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تعس مذمم (أخرجه ابن أبي حاتم). وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى:{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥}؛ أي في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها، ثم ترمى إلى أسفلها، ثم لا تزال كذلك دائماً.

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوّة، فإنه منذ نزل قوله تعالى:{سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥} [المسد: ٣ - ٥]؛ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطناً ولا ظاهراً، لا سراً ولا علناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة، على النبوّة الظاهرة.

كما أن أبي لهب لم يكن الوحيد الذي آذى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ولكن السورة القرآنية نزلت فيه ولم تنزل في أبي سفيان، رغم أنه آذى النبي صلى الله عليه وسلم وحاربه في أكثر من موقف، ولم تنزل به آية تشير إلى أن النار مصيره!!! ذلك أن الله تعالى يعلم أنه سيسلم وسيحسن إسلامه، وهذا دليل قاطع أن القرآن الكريم منزل من لدنّ عليم خبير.

ما يؤخذ من هذه القصة:

أولا: عذاب أم جميل زوجة أبي لهب، وأنها مع زوجها تصلى نار جهنم وتذوق حرها وتتلظى بلهبها، وأنها هالكة في الدنيا، ومعذبة في الآخرة بحبل من نار، وسلاسل من نار جهنم تطوقها، لإيذائها النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها كانت في غاية العداوة له، ولإفسادها بين الناس بالنميمة وتأجيج نار العداوة بينهم.

ثانيا: قد تكون المرأة سوء على زوجها؛ قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ} [التغابن: ١٤]؛ ووجه ذلك أن أم جميل لعنها الله تعالى كانت تعين زوجها اللعين أبا لهب على إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم.

تمت القصة بعون الله تعالى

***